الأكاديمية العربية الدولية
Arab International Academy

الفطرة: دين وسلوك وأخلاق

الدكتور: بكر سليمان الزاملي

الأكاديمية العربية الدولية – منصة أعد

القسم الأول : تعريف الفطرة

- **من حيث اللغة:** جاء في اللسان: فَطَرَ الشيء يَفْطُرُه فَطْرًا فانْفَطَر، وفَطَّره: شقه، وتَفَطَّر الشيء: تشقق، والفَطْر: الشق، وجمعه فُطُور. وفي التنزيل العزيز: ﴿ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴾ [الملك: 3]

- **وأصل الفَطْر**: الشق، ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴾ [الانفطار: 1]؛ أي: انشقت. وفي الحديث: "قام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى تَفَطَّرت قدماه؛ أي: انشقتا. يقال: تَفَطَّرت وانْفَطَرت بمعنى تشققت.

وفي التنزيل العزيز:﴿ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ﴾ [المزمل: 18]، السماء متصدعة في ذلك اليوم؛ لشدة هوله، كان وعد الله تعالى بمجيء ذلك اليوم واقعًا لا محالة.

- **والفطرة:** التي طبعت عليها الخليقة من الدين، فطرهم الله على معرفته بربوبيته، ومنه حديث: ((كل مولود يولد على الفطرة، حتى يكون أبواه يهوّدانه وينصِّرانه ويمجِّسانه))

تعريف الفطرة

- أما من حيث الاصطلاح، فالفطرة هي دين الإسلام.

كما في قوله تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} [الروم:30].

لذلك إن الحقيقة التي نستنبطها من القرآن في هذه القضية: هي أن كل مولود يولد على فطرة التوحيد، فقد دلتنا قصة آدم عليه السلام على أنه كان على عقيدة التوحيد، ودل القرآن الكريم والسنة النبوية على أن هذا لم يكن خاصاً بالإنسان الأول وهو آدم عليه السلام، وإنما هو عام في كل مولود.

- يقول سبحانه وتعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ} [الروم:30].

- قال ابن كثير: أي: سدد وجهك واستمر واثبت على هذا الدين الذي شرعه الله لك من الحنيفية السمحة، ملة إبراهيم عليه السلام التي هداك الله لها، وكملها لك غاية الإكمال، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة التي فطر الله الخلق عليها، فقد فطر الله تعالى العباد على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره.

القسم الثاني: الفطرة الإنسانية في القرآن الكريم

- إن القرآن الكريم يؤكد أن الفطرة هي حقيقة متواجدة وتسكن النفس البشرية، حيث أنها هي منبع الدوافع الإنسانية، ونجد في القرآن الكريم كل آية تشير إلى العقيدة تكون في الوقت ذاته موجهة للفطرة الإنسانية، وقد أكد قرآننا الكريم أن الإنسان يستطيع إدراك الطيبات والخبائث ويتم ذلك عن طريق فطرته، حيث أن الفطرة ترضى بالطيبات والتي يرضاها الإسلام وأحلها الشرع، أما الخبائث فيرفضها الإنسان بفطرته وهي التي يرفضها الإسلام، حيث أن الله سبحانه وتعالى يؤكد أن المحللات تعود إلى الغريزة الفطرية البشرية، فيقول جل وعلا في سورة المائدة: "يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ"، وقد ورد في السورة ذاتها في الآية الخامسة: "الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ".

القسم الثاني: الفطرة الإنسانية في القرآن الكريم

- ونلتمس الروح الفطرية في التشريعات عندما يعترض القرآن الكريم على التحريم الذي يكون متزمتًا لأمور مختلفة، فيقول جل وعلا في كتابه العزيز: "يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ"، وقد ركز القرآن الكريم على الفطرة، فقد ورد في هذا الشأن قوله تعالى: "فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ"، ونجد في هذه الآية الكريمة أنها أكدت بأن الدين هو أمر فطري، فهي أمر ثابت لا يتغير.

القسم الثالث: أركان الفطرة

إن أركان الفطرة كالتالي:

- **الركن الأول: الإخلاص مجاهدة :**

حيث أنه هو منبع الفطرية والأسس التي تستند عليها، بالإضافة على أنها هي محاولة لإعادة بناء النفس البشرية على فطرتها أي على ما خُلِقت عليه، فأول بناتها كانت مولدة على الفكرة، حيث أنه يجب المثابرة والمصابرة على الإخلاص، بالإضافة إلى مواجهة والابتعاد عن النفس الأمارة بالسوء والهوى.

- **الركن الثاني: الآخرة غاية :**

حيث أن الآخرة هي بوصلة الإنسان التي تعمل على ضبط أعماله، حيث أن استحضار الآخرة الدائم يعمل على الوقاية من فتن الشهوات التي تعمل على تدمير الأخلاق وتفسد الدعوات.

- **الركن الثالث: القرآن مدرسة:**

حتى تكون الفطرة البشرية صالحة لا بد من مدرسة متخصصة في هذا الأمر، وتتجلى هذه المدرسة في مدارسة القرآن الكريم، الذي فيه نجد الصلاح والإصلاح للفطرة الإنسانية، فهو الذي يصونها، ومن هذا المنطلق غدت الفطرية مدرسة قرآنية تقلدت المرتبة الأولى.

أركان الفطرة :

- **الركن الرابع: الربانية برنامجًا :**

حيث أن الربانية هي منزلة عظيمة، فقد أمرنا الله بها في قوله العزيز : "وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ"، والرباني هو الذي يربى بصغار العلم قبل كباره، وإن هدف برنامج الربانية هو إنشاء طبقة من الدعاة المربين وتخريجهم، بالإضافة إلى وجود أشخاص وفئة يحملون رسالة القرآن الكريم ويعملون بدعوة الناس أجمعين.

- **الركن الخامس: العلم طريقة :**

حيث أنه يجب أن يكون هناك علم لتحقيق منهج الفطرية، لأنه يعتبر هو أساس الإصلاح والتطور والنهضة، فلا يوجد مكان للفطرية في اللأهوائية.

- **الركن السادس: الحكمة صبغة :**

حيث أن الحكمة في منهج الفطرية تتجلى باتخاذ إجراءات مناسبة وأن تكون في وقتها المناسب، وإن هذا الركن يكون جامعًا لمقامي الفقه في الدين بالإضافة إلى العمل والتخلق بأخلاقه والسير على سيرورته.

القسم الرابع : الفطرة دين

الفطرة: دين

- العقيدة الدينية، مسجلة و مغروسة في الإنسان، و بفعل فاعل، هو فاطر هذا الإنسان و خالقه، عز و جلت قدرته. وليست ناشئة ، صدح بها القرآن الكريم، و أكدتها السنة النبوية، منذ القرن السابع الميلادي. كما في قوله تبارك و تعالى في الذكر الحكيم:" فأقم وجهك للدين حنيفا، فطرة الله التي فطر الناس عليها." و قول النبي المصطفى صلى الله عليه و سلم، :" ما من مولود إلا يولد على الفطرة ..."

- فدين الفطرة، هو الدين الإلهي، دين السماء، الدين الذي جبل عليه الإنسان، و شهد به على نفسه أمام الخالق تعالى، في عالم الذرة منذ الأزل؛ بموجب الميثاق الإلهي لقوله تعالى:" و إذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم، و أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم، قالوا بلى، شهدنا."

- قال ابن كثير: "يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ اسْتَخْرَجَ ذُرِّيَّةَ بَنِي آدَمَ مِنْ أَصْلَابِهِمْ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّ اللَّهَ رَبُّهُمْ وَمَلِيكُهُمْ وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كَمَا أَنَّهُ تَعَالَى فَطَرَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَجَبَلَهُمْ عَلَيْهِ قَالَ تَعَالَى فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها[الرُّومِ: 30]

القسم الخامس: الفطرة سلوك

❖ السلوك المكتسب عند الانسان نتيجة قدرته الفريدة على التعلم إلا أنه يظهر بعض السلوكيات الفطرية في بعض الأحيان.

الفطرة هي ميزان السلوك الداخلي للإنسان (بل الإنسان علي نفسه بصيرة ولو ألقي معاذيره) ، أي مهما بحث الإنسان لنفسه عن مبررات وحجج هو في قرارة نفسه يعرف الصواب والخطأ ، ولا يكون هذا الميزان صحيحا إلا بسلامة القلب ولا يصح القلب إلا بالدين لذلك كانت الفطرة هي الدين والملة والتي تعني ملة الإسلام، واستشهاد أبو هريرة بالآية في الحديث يدل علي ذلك وذكروا عن عكرمة ومجاهد والحسن وإبراهيم والضحاك وقتادة في قوله تعالي (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) قالوا دين الله الإسلام وأجمع أهل التأويل والتفسير عليه .

❖ فالإسلام هو دين الفطرة السليمة ، لذلك وصف الإسلام بالحنفية لأن الحنيف في كلام العرب هو المستقيم ، وعن الحسن الحنفية حج البيت وكذلك جاء عن الضحاك والسدي حنفاء أي حجاجاً وهي من شعائر الإسلام .

❖ وقوله صلي الله عليه وسلم (فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه) أي يكونوا سبباً في تغيير الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، وهذا يوضح أثر البيئة علي تغيير فطرة وسلوك الإنسان لكن إلي حين حتي يعرب عنه لسانه أي حتي يعقل ويعي الصواب من الخطأ ولا يصح الاحتجاج بعده بأثر البيئة ، ففي الحديث الثاني حددها الرسول إلي مرحلة التمييز والنضج العقلي فقال صلي الله عليه وسلم حتي يعرب عنه لسانه , ويصله العلم الصحيح . فالفطرة والسلوك الفطري هي سلامة الطبع والاستقامة علي شرع الله وهو سلوك تجده في البشر المستقيم .

القسم السادس : الفطرة أخلاق

الفطرة أخلاق

- خلق الله الإنسان على الفطرة السليمة التي يكون فيها حبّ الخير هو الأساس، فالأصل في الإنسان هو الخلق الحسن الطيّب الذي يضمّ جميع الفضائل، لكنّ ما إن يبدأ الطفل يكبر بالعمر حتى تصبح لديه الأخلاق المكتسبة من البيئة المحيطة والأهل والأصدقاء، وربّما تتلوث فطرته السليمة ويكتسب أخلاقًا سيّئة بسبب سوء التربية وأصدقاء السوء، وربما حافظَ على فطرته السليمة إذا نشأ في بيئة صالحة تحثُّه على الخير وتُعلّمه مكارم الأخلاق، والأساس هنا في تربية الأم والأب أولًا الذين عليهم تربية أبنائهم على مكارم الأخلاق.

- الأخلاق الفاضلة حياة للمجتمع وسببٌ في نموّه وتطوّره وسببٌ في نيل رضا الله تعالى ونبيه الكريم، ويُمكن لكلّ شخص أن يتحمل مسؤوليته الأخلاقية تجاه مجتمعه، وأن يسعى لإصلاح نفسه بأن يكون شخصًا مُتّصفًا بأفضل الصفات ونفسه ممتلئة بالطاقة الإيجابية.

الفطرة أخلاق

- ومن الأمور التي يجب معرفتها أنّ الأخلاق لا تتجزأ، لأنّ الشخص الذي يكون لديه خلقٌ فاضل ترتبط بقية الأخلاق به فيصبح متصفًا بها جميعًا فلا يرضى على نفسه أن يكون غير ذلك، والأخلاق يجب أن تكون كلّها مجتمعة في الشخص حتى يكون صاحب خلقٍ طيب، كأن يكون شهمًا كريمًا صادقًا محبًا للخير وطلق الوجه ومبتسمًا في وجه الآخرين، فهو بهذا يكون صاحب خلق. القدوة الحقيقية في الأخلاق الفاضلة هو النبي -عليه الصلاة والسلام- وجميع الأنبياء والصحابة والتابعين -رضوان الله عليهم-، فقد كانوا مثالًا في الخلق الرفيع، يُميّزون بين الخير والشر ولا يسمحون لأنفسهم بالتجاوز أو الاتجاه نحو الخطأ، وهؤلاء يجب أن تكون أخلاقهم وطريقة تعاملهم درسًا يتبعه الناس جميعًا حتى يكون المجتمع فاضلًا وراقيًا ولا ينحدر نحو الشر.

- الأخلاق الحميدة الفاضلة سببٌ في أن ينهض الإنسان بنفسه ومجتمعه، وهي أيضًا سببٌ في تحقيق رفعة الإنسان وقبوله بين الناس، فالشخص صاحب الخلق الطيب ينال محبة الآخرين ويعتبرونه قدوة لهم، ويسعون إلى التقرب منه لأنهم يستأمنون أنفسهم وأموالهم معه، ولا يخافون منه غدرًا، ويثقون بأقواله وأفعاله لأنهم يعلمون أنه لا يكذب، وهذا كلّه يُسهم في تحسين العلاقات بين الناس ونشر المحبة والتكافل والتعاطف، واختفاء الجرائم التي تؤرق المجتمعات، خاصة أنّ الأخلاق الحسنة تنهى عن كلّ الشرور.

القسم السابع : العلاقة بين العقل والفطرة

قال الماوردي: ينقسم قسمين: غريزي ومكتسب:

- فالغريزي: هو العقل الحقيقي، وله حدّ يتعلق به التكليف، لا يجاوزه إلى زيادة، ولا يقصر عنه إلى نقصان، وبه يمتاز الإنسان عن سائر الحيوان، فإذا تمَّ في الإنسان سمي عاقلا، وخرج به إلى حدّ الكمال ...
- وأما العقل المكتسب: فهو نتيجة العقل الغريزي، وهو نهاية المعرفة وصحة السياسة وإصابة الفكرة، وليس لهذا حدّ، لأنه ينمو إن استعمل، وينقص إن أهمل.

❖ وقال الزركشي في البحر المحيط: وَيَمْتَنِعُ أَنْ يَتَجَرَّدَ الْمُكْتَسَبُ عن الْغَرِيزِيِّ وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَتَجَرَّدَ الْغَرِيزِيُّ عن الْمُكْتَسَبِ لِأَنَّ الْغَرِيزِيَّ أَصْلٌ يَصِحُّ قِيَامُهُ بِذَاتِهِ وَالْمُكْتَسَبَ فَرْعٌ لَا يَصِحُّ قِيَامُهُ إلَّا بِأَصْلِهِ، وَمِنْ الناس مَنْ امْتَنَعَ من تَسْمِيَةِ الْمُكْتَسَبِ عَقْلًا لِأَنَّهُ من نَتَائِجِهِ وَلَا اعْتِبَارَ بِالنِّزَاعِ في التَّسْمِيَةِ إذَا كَانَ الْمَعْنَى مُسَلَّمًا.

وأما الفطرة، فهي في اللغة بمعنى الخلق. وقال أبو البقاء: الفطرة: هي الصفة التي يتصف بها كل موجود في أول زمان خلقته.

العلاقة بين العقل و الفطرة

- وقد يراد بالفطرة جانب معين منها، وهو فطرية التدين، فقد وردت في نصوص الكتاب والسنة بمعنى الاستعداد الذي ركزه الله في جبلة كل إنسان فيصير به متهيئاً لقبول الشرع متى عرض عليه، قال الله تعالى: فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ.{الروم:30}، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: كل مولود يولد على الفطرة... متفق عليه.

❖ قال الفيروز آبادي: كلّ مولود يولدَ على الفِطْرة: أَى على الجبلَّة القابلة لدين الحقِّ. اهـ.

❖ وقال المناوي في التعاريف: الفطرة الجبلة المتهيئة لقبول الدين. وقال الراغب: هي ما ركب الله في الإنسان من قوته على معرفة الإيمان، وقال الشريف: الخلقة التي جبل عليها الإنسان

❖ وقال أبو حامد في نهج البلاغة: الفطرة: الحالة التي يفطر الله عليها الإنسان، أي يخلقه عليها خاليا من الآراء والديانات والعقائد والأهوية، وهى ما يقتضيه محض العقل، وإنما يختار الانسان بسوء نظره ما يفضى به إلى الشقوة. وعلى ذلك فيمكن الكلام عن العلاقة بين الفطرة والعقل باعتباره غريزيا، وباعتباره مكتسبا.

العلاقة بين العقل والفطرة

أولا: العلاقة بين الفطرة والعقل الغريزي:

تتلخص العلاقة بينهما في الآتي:

1- أن مبادئ هذا العقل فطرية؛ بمعنى أن الله سبحانه جعلها مركوزة في نفس البشرية، دون توقفها على تجارب أو معارف خارجية، فيجد الإنسان نفسه بالضرورة مسلما بها. وتلك المبادئ هي الأوليات والبدهيات التي يحصل بها للإنسان اليقين بالمقدمات الصادقة الضرورية.

2- أن مبادئ هذا العقل تتسم أيضاً بالعمومية؛ أي: أنها شاملة لكل العقول بحيث تكون الحقيقة واحدة عند جميع الناس العاقلين على السواء، ولا تتوقف على مزاج أحد، ولا تنسحب على فردٍ دون فرد.

وهذا كله من حيث الأصل، لكن قد تختلف تلك المبادئ في نسبة الحضور والوضوح والبداهة من شخص لآخر لأسباب اضطرارية أو كسبية .

العلاقة بين العقل والفطرة

ثانيا: العلاقة بين الفطرة والعقل المكتسب:

1- أن العمليات العقلية تقوم على الفطرة وتعتمد عليها:

فالعلوم العقلية تعتمد على الأوليات الضرورية فلا يمكن إقامة أي حكم عقلي إلا بعد بنائه على تلك الأوليات العقلية، وهي الأمور الفطرية والمدركات الحسية الظاهرة والباطنة.

2- أن الفطرة تُقَدّم على العقل عند التعارض:

وذلك لأنها يقينية ومقاييس العقل قد تكون ظنية ولأنها لو كانت يقينية لم تعارضها، لأن اليقينيات لا يمكن أن تتعارض، ولأن الحق في الأقيسة العقلية فطري مدرك بالفطرة، ولأن العقل لا يمكن أن يستقل بالخوض في بعض الميادين مثل كثير من الأمور الإلهية.

ثانيا: العلاقة بين الفطرة والعقل المكتسب:

3- أن الفطرة تفيد ما لا يفيده القياس:

لأن الأدلة المنطقية التي صاغها المناطقة كانت نتيجة استقراء لما في الفطرة البشرية، لكن هذا الاستقراء جهد بشري ليس معصوماً ومن هنا كان ورود الخطأ فيه.

ومما يؤكد ذلك أنها تدرك كيفية تركيبه وارتباط مقدماته بعضها على بعض بغير تعليم، وإن كان لا يجري على طرق المناطقة، فالناس بفطرتهم يتكلمون الأنواع الثلاثة: التداخل والتلازم والتقسيم، كما يتكلمون بالحساب وغيره، وبذلك يرتبون النتائج على المقدمات الصادقة.

4- أن الأدلة العقلية تجلي الفطرة وتوقظها:

فمع أن الفطرة هي أصل الأقيسة العقلية وأنها تقُدّم عليها عند التعارض وأنها تفيد ما لا تفيده تلك الأقيسة، إلا أن الفطرة تتأثر بمؤثرات عدة فتخبو وتضعف أمام تلك المؤثرات فجعل الله هناك أموراً توقظها وتجليها، ومنها الأدلة العقلية التي سلكها القرآن الكريم في إيقاظه لفطر المخالفين للحق والمعرضين عنه.

الأكاديمية العربية الدولية
Arab International Academy

الخاتمة

تم بحمد الله تعالى
والله من وراء القصد